الجانب التربوي عند الامام جعفر الصادق(ع)

The educational aspect of Imam Jafar Al-Sadiq (Peace be upon him)

م. فراس عباس حسين طعين

٠٧٨٠٧٥٣٥٠٩٢

fairesabaas@gmail.com

الملخص

يستعرض هذا البحث المنهج التربوي المتكامل في فكر الإمام جعفر الصادق (ع)، معتبراً الإنسان هو المحور الأساسي والكيان الرسالي المكلف بالإعمار. تنطلق التربية الصادقية من رؤية كونية توازن بين الروح والجسد والعقل لتحقيق "العبودية الواعية". ويتناول البحث العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية كالوراثة والبيئة، مؤكداً سبقه للدراسات الحديثة في هذا المجال. كما يسلط الضوء على الأهداف التربوية التي تسعى لصناعة الإنسان المتكامل والمصلح الاجتماعي. ويفصل البحث في خصائص المربين التي ترتكز على وحدة العلم والعمل والرحمة والرفق. كما يستعرض الأساليب التطبيقية كالحوار والقدوة والقصة، وصولاً إلى معالجة الأزمات السلوكية والنفسية. ويهدف البحث في المجمل إلى إبراز هذا الفكر كمنهج قرآني صالح لكل زمان ومكان لتحقيق الكمال الإنساني. إنها مدرسة تربوية فريدة تخرجت منها عقول عبقرية بفضل أسلوب التعزيز النفسي والتخصص العلمي.

الكلمات المفتاحية: (الفكر التربوي ،الامام جعفر الصادق، الكمال الانساني)

Abstract

This research reviews the integrated educational curriculum in the thought of Imam Ja'far Al-Sadiq (as), considering the human being as the main axis and the messenger entity in charge of reconstruction. Sincere education proceeds from a cosmic vision that balances the soul, body and mind to achieve "conscious slavery". The research deals with factors affecting the formation of personality such as heredity and the environment, confirming the precedent of recent studies in this field. It also highlights the educational goals that seek to create an integrated human and social reformer. The research details the characteristics of educators that are based on the unity of science, work, compassion and kindness. He also reviews the applied methods such as dialogue, role model and story, up to the treatment of behavioral and psychological crises. In general, the research aims to highlight this thought as a Quranic method valid for every time and place to achieve human perfection. It is a unique pedagogical school from which genius minds graduated thanks to the method of psychological reinforcement and scientific specialization.

Keywords: (educational thought, Imam Jafar Al-Sadiq, human perfection)

المقدمة

تعتبر الدراسات التربوية الإسلامية من أهم الركائز التي يجب أن يستند إليها المجتمع لتحقيق النهضة الحضارية المنشودة. وفي هذا السياق، يبرز فكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كمنهج "قرآني محمدي خالص" يمثل الامتداد الطبيعي لرسالة السماء. إن الإشكالية التي يواجهها الفكر التربوي المعاصر تكمن في وجود تجارب عفوية لم تنجح في حل المشكلات الاجتماعية المعقدة. ومن هنا تأتي الحاجة الماسة لصياغة منهج تربوي سليم ينطلق من أسس عقلانية وإيمانية راسخة لتحقيق أعلى درجات الكمال. يمثل الإنسان في هذا المشروع الصادقي جوهرة ثمينة تحتاج إلى صقل واستخراج للمعادن الإنسانية الكامنة فيه. فالإمام لم ينظر للتربية كعملية تلقين معلومات، بل كأداة محررة للطاقات ومقترنة بالعمل الفعلي. لقد انطلق مشروع الإمام لتربية الأفراد الطليعيين خاصة والأمة عامة، ليرسم معالم واضحة للفكر التربوي الصحيح. وتتجلى أهمية هذا البحث في كونه يتناول طروحات صالحة

لكل عصر وجيل، تهدف لصناعة شخصية تتوازن فيها القوى العقلية والروحية والبدنية. إننا أمام دراسة تسعى لتفكيك فلسفة الإمام تجاه "الإنسان" وكيفية بناء كيان رسالي يحمل أمانة الاستخلاف. ومن خلال فصول هذا البحث، سنبحر في غايات التربية، وخصائص المربين، والأساليب المبتكرة التي سبقت العلوم الحديثة. وبذلك، يقدم البحث رؤية شاملة تهدف إلى بناء مجتمع حضاري متقدم وراقي.

مشكلة البحث

طرحت تطبيقات تجارب الفكر التربوي لكثير من الدراسات قديماً وحديثاً برامج تربوية عفوية لم تصل الى النتائج المرجوة لحل المشكلات الاجتماعية . ولا زالت تحتاج هذه الدراسات والابحاث الاسلامية خاصة الى المنهج التربوي السليم صياغة المنهج التربوي في مجتمعنا الاسلامي والتي يجب أن تنطلق على أسس عقلانية ايمانية راسخة ليتشكل بمجموعها الاطار الأساسي لذلك المنهج والفكر التربوي الصحيح، وبالتالي تحقيق أعلى درجات الكمال التربوي والذي يصبوا اليه كل مجتمع ونشوء مجتمع حضاري متقدم وراقي.

اهمية البحث

جاءت هذه الاهمية والاسباب لبحث الفكر التربوي في طروحات الامام الصادق (ع) والتي هي ذا منهج قرآني محمدي خالص، فهي طروحات صالحة لكل عصر وجيل وهي الحقيقة الربانية والامتداد الطبيعي لرسالة السماء . من هنا كان مشروع الإمام الصادق (ع) لتربية الأفراد الطليعيين من اصحابه خاصة، والامة الاسلامية عامة ، فانطلق البحث ليوضح معالم هذا الفكر التربوي عند الامام جعفر الصادق (ع).

اهداف البحث

يسعى هذا البحث بشكل أساسي إلى إيضاح معالم الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وتسليط الضوء على مشروعه في تربية الأفراد والأمة الإسلامية عامة. ويهدف البحث إلى تقديم رؤية تربوية بديلة تتجاوز البرامج العفوية التي لم تصل للنتائج المرجوة، وذلك من خلال صياغة منهج تربوي سليم ينطلق من أسس عقلانية وإيمانية راسخة. كما يرمي البحث إلى تفكيك فلسفة الإمام تجاه "الإنسان" بوصفه المحور الأساسي للعملية التربوية، وكيفية تطويع التربية لتكون أداة محررة للطاقات الكامنة. بالإضافة إلى ذلك،

يستهدف البحث استخلاص الأهداف التربوية العامة والخاصة في فكر الإمام، وتوضيح كيفية صياغة الشخصية الإنسانية التي تتوازن فيها القوى العقلية والروحية والبدنية.

خطة البحث

سنقوم بتقسيم البحث الى ثلاث فصول نتناول في الفصل الأول: الإنسان والتربية في فكر الإمام الصادق (ع). اما الفصل الثاني فنتناول فيه : الأهداف التربوية العامة والخاصة في فكر الإمام الصادق (ع)، ونتناول في الفصل الثالث : خصائص المربين وأساليب التربية. ثم نختتم البحث بالنتائج والتوصيات التي نستخلصها من دراسة موضوع البحث .

الفصل الأول

الإنسان والتربية في فكر الإمام جعفر الصادق (ع)

يُمثل الإنسان في فكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) المحور الأساسي للعملية التربوية، فهو ليس مجرد كائن بيولوجي، بل هو كيان رسالي يحمل أمانة الإعمار والاستخلاف. تنبثق التربية عند الإمام من رؤية كونية تربط بين عالم المادة وعالم المعنى، حيث تهدف إلى صياغة شخصية إنسانية تتوازن فيها القوى العقلية والروحية والبدنية[١] . إن هذا المبحث يسعى لتفكيك فلسفة الإمام تجاه "الإنسان" وكيفية تطويع "التربية" لتكون الأداة المحررة لطاقاته الكامنة.

أولاً: كرامة الإنسان وغائية التربية

ينظر الإمام الصادق (ع) إلى الإنسان بوصفه جوهرة ثمينة تحتاج إلى صقل؛ فالتربية هي عملية الاستخراج لهذه المعادن الإنسانية. ويؤكد الإمام أن قيمة الإنسان مرتبطة بمدى استجابته للنمو التربوي، حيث يقول: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة" [٢].

وفي هذا الإطار، لا تقتصر غاية التربية على ملء الأذهان بالمعلومات، بل في تحقيق "العبودية الواعية" لله التي تمر عبر بوابة العلم [١] . فالإنسان الجاهل في نظر الإمام لا يمكنه ممارسة إنسانيته الحقيقية، لأن "العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم" [٢] .

---

١) مها نادر عبد محسن الغرابي، التربية عند أئمة أهل البيت عليهم السلام: دراسة فلسفية تحليلية، ط١ (كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٧: ١١٢.

٢) خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، "الفكر التربوي في طروحات الإمام جعفر الصادق (ع)"، مجلة التراث العلمي العربي، العدد ١ ،٢٠١٤: ٥٨.

ثانياً: العوامل المؤثرة في تكوين الإنسان (الوراثة والبيئة)

لقد سبق الإمام الصادق (ع) الدراسات التربوية الحديثة في التأكيد على أن التربية تبدأ قبل اتصال المربي بالمتعلم، وذلك من خلال:

١. **أدب الوراثة وطهارة المنشأ:** حث الإمام على اختيار البيئة الأسرية الصالح، معتبراً أن "الخال أحد الضجيعين"، في إشارة إلى انتقال الصفات الوراثيـــة والأخلاقيـــة[٣] . ويظهر اهتمامه بهذا الجانب في تحذيره من "خضراء الدمن" (المرأة الحسناء في منبت السوء)، لأن التربية تبدأ من اختيار الجذور[٤].

٢. **أثر المحيط والرفقة:** يرى الإمام أن الإنسان مرآة لبيئته، لذا ركز على دور الصديق والبيئة الاجتماعية. ومن شواهده قوله: "من يصحب صاحب السوء لا يسلم" [٥]، وهذا يضع مسؤولية كبرى على المؤسسة التربوية في تهيئة بيئة صالحة تمنع الانحـــراف السلوكي قبل وقوعه.

ثالثاً: المنهج التربوي التطبيقي

اعتمد الإمام الصادق (ع) أساليب متنوعة في تربية الإنسان، تتجاوز الوعظ المباشر إلى التربية بالنموذج والحادثة:

---

١) زينب فليح حسن، الإمام جعفر الصادق (ع) ودوره التربوي،بحث تخرج، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، بإشراف علي عطية الكعبي،٢٠١٧: ٢٦.

٢) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٦ ،دار الكتب الإسلامية،طهران، ١٣٦٥هـــ: ٤٧ .

٣) محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)، من لا يحضره الفقيه، ج٣ ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم:٥٦١.

٤) "قام النبي (ص) خطيباً فقال: أيها الناس إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء" . يشير الإمام الصادق (ع) من خلال استشهاده بهذا المبدأ النبوي إلى أن البيئة الأسرية والوراثة الأخلاقية تشكلان "الجذر" الذي يغذي الشخصية، فمهما كانت الواجهة (المرأة الحسناء) جميلة، فإن المنبت (البيئة الفاسدة) سيؤثر حتماً على الثمار التربوية، لذا حث على اختيار المنبت الصالح لتحصين الأجيال، لأن "العرق دساس" والبيئة هي المحضن الأول لتشكل القيم .ينظر: الشيخ الصدوق، الخصال، ج١، ٥١٢.

٥) خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، "الفكر التربوي في طروحات الإمام جعفر الصادق (ع)"، مجلة التراث العلمي العربي، العدد ٢٠١٤،١م: ٥٨-٦٥.

١. التربية بالمعاناة والعمل (شاهد العمل اليدوي):

يروى أن الإمام كان يعمل في ضيعة له بيده والعرق يتصبب منه، فقيل له: "جعلت فداك، لو أعطيت أحداً يكفيك؟" فقال: "إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشـــة" [١]. هذا الدرس التربوي يربي الإنسان على عزة النفس ورفض الاتكال، ويؤصل لقيمـــة العمـــل اليدوي في بناء الشخصية.

٢. المنهج الحواري والعلمي (المناظرة مع الطبيب الهندي):

في مناظرة علمية شهيرة مع طبيب هندي، استخدم الإمام أعضاء الجسد البشري وأسرار خلقها لإقناع الطبيب بوجود الخالق وتدبيره [٢]. لم يكتفِ الإمام بطرح نظري، بل حاوره في "علم التشريح والطب" ليوصل المتعلم إلى حقيقة إيمانية عبر بوابة العلم التجريبي. هذا الشاهد يثبت أن التربية الصادقية هي تربية "علمية" لا تنفصل عن الواقع.

٣. التربية الروحية وبناء الإرادة (قصة عنوان البصري):

---

١) حول قصة العمل اليدوي وعزة النفس"عن أبي عمرو الشيباني قال: رأيت أبا عبد الله (ع) وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط (بستان) له، والعرق يتصابُّ عن ظهره، فقلت: جعلت فداك، أعطني أكفك، فقال لي: "إني أحب أن يتأذى الرجل بحرِّ الشمس في طلب المعيشة". يجسد هذا الموقف أسلوب التربية بالقدوة؛ حيث يعلم الإمام أصحابه أن العمل قيمة مقدسة، وأن المربي لا يترفع عن كسب رزقه بيده مهما علا شأنه العلمي. ينظر: محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٥ (باب كراهية العجز والكسل)، دار الكتب الإسلامية ، طهران:٧٦. وينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤ ،دار الأضواء،بيروت ، ٢٧٢.

٢) "كان الصادق (ع) يحضر مجلس المنصور، فجاء طبيب من الهند يقرأ كتباً لهم، فجعل الصادق (ع) ينصت لقراءته، فلما فرغ الطبيب قال: يا أبا عبد الله، أتريد مما معي شيئاً؟ قال: لا، فإن ما معي خير مما معك. قال: وما معك؟ قال: أداوي الحار بالبارد والبارد بالحار، واليابس بالرطب والرطب باليابس، وأرد الأمر كله إلى الله عز وجل، وأستعمل ما قاله رسول الله (ص): واعلم أن المعدة بيت الداء، وأن الحمية هي الدواء، وأعود البدن ما اعتاد. فقال الطبيب: وهل الطب إلا هذا؟ ثم سأله الإمام عن علل خلق الأعضاء (لماذا كان شعر الرأس من فوقه؟ ولماذا خلت الجبهة من الشعر؟..) فشرحها له الإمام ببيان دقيق حتى قال الطبيب: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك أعلم أهل زمانك". ينظر: محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٣ ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت،١٩٨٣م: ١٥٢. وأيضاً: الشيخ الصدوق، الخصال، ج١: ٥١٢.

عندما جاءه "عنوان البصري" يطلب العلم، لم يبدأ الإمام بتلقينه الدروس، بل اختبر استعداده النفسي أولاً [١] . قال له: "ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه". لقد ربى الإمام في "عنوان" حقيقة العبودية قبل حقيقة المعلومة، مؤكداً أن التربية تبدأ بتصحيح النية وتنقية القلب.

٤. التعامل مع الأزمات السلوكية (قصة الرجل والهميان):

عندما اتهمه رجل غريب بسرقة كيس ماله، قاده الإمام إلى بيته وأعطاه المال دون أدنى غضب [٢]. وعندما تبين للرجل خطأه، علمه الإمام درساً في "الحلم التربوي"؛ إذ رفض المال قائلاً: "نحن قوم إذا وهبنا شيئاً لا نسترجعه". هذا السلوك غير المتوقع كسر حواجز العداء في نفس الرجل وحوله إلى تلميذ مخلص.

رابعاً: العلاقة التكاملية بين المربي والمتعلم

قدم الإمام الصادق (ع) نموذج "المربي الصديق"؛ فلم يكن متعالياً على تلامذته، بل كان يشجعهم على النقد والمساءلة [٣]. ويبرز هنا تلميذه "هشام بن الحكم" الذي كان الإمام

---

١) "قال عنوان البصري: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق (ع) المدينة اختلفت إليه، فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف إليه، فاغتممت من ذلك، ثم قصدته مرة أخرى ودخلت عليه فقال: ما حاجتك؟ قلت: السلام عليك، فرد السلام وقال: اجلس غفر الله لك، ثم قال: ما كنيتك؟ قلت: أبو عبد الله، قال: ثبت الله كنيتك ووفقك يا أبا عبد الله، ما حاجتك؟ قلت: سألت الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك.. فقال (ع): يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإذا أردت العلم فاطلب في نفسك أولاً حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك". للمزيد، انظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ٢٢٤.

٢) "دخل رجل المسجد النبوي فنام فيه، ثم استيقظ فتوهم أن هميانه قد سُرق، فرأى الإمام الصادق (ع) يصلي فتعلق به ولم يعرفه، وقال له: أنت أخذت هميانى! فقال (ع): ما كان فيه؟ قال: ألف دينار، فحمله الإمام إلى داره ووزن له ألف دينار وأعطاه إياها، فانصرف الرجل إلى منزله فوضع ثيابه فإذ بالهميان بينها، فعاد إلى الإمام معتذراً ومعه الدنانير، فأبى الإمام قبولها وقال: شيء خرج من يدي لا يعود إلي، فسأل الرجل عنه فقيل له: هذا جعفر الصادق، فقال: لا جرم، هكذا تكون أفعال أمثاله" ، انظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤ (بيروت: دار الأضواء)، ٢٧٢-٢٧٤.

٣) حول قصة الرجل والهميان "حكى أن رجلاً غريباً نام في المسجد النبوي، فلما استيقظ لم يجد هميانه (كيس نقوده)، فرأى الإمام الصادق (ع) يصلي ولم يعرفه، فتعلق به واتهمه بالسرقة. لم يغضب الإمام ولم يزجره، بل سأله: "كم كان فيه؟" قال: ألف دينار. فأخذه الإمام إلى بيته وأعطاه ألف دينار من ماله الخاص.

يقدمه على الشيوخ رغم حداثة سنه، تشجيعاً لموهبته في الجدل والكلام. هذا الأسلوب في "التعزيز النفسي" هو ما جعل مدرسته تخرج عباقرة في مجالات متنوعة، مما يؤكد أن الإمام كان يربي الإنسان وفق استعداده التخصصي.

الفصل الثاني

الأهداف التربوية العامة والخاصة في فكر الإمام الصادق (ع)

إن صياغة أي نظام تربوي لا يمكن أن تكتمل معالمها دون تحديد الغايات التي يسعى لتحقيقها، وفي مدرسة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، نجد منظومة تربوية متكاملة لا تنفصل فيها الأهداف التعليمية عن الغايات الوجودية الكبرى. فالمشروع التربوي الصادقي يهدف في جوهره إلى صياغة الإنسان الصالح في ذاته، والمصلح في مجتمعه، ضمن رؤية تقسم هذه الأهداف إلى غايات عامة كبرى تتصل بجوهر الوجود الإنساني، وغايات خاصة تفصيلية تعنى بجوانب الشخصية العقلية والأخلاقية والاجتماعية[١] .

أولاً: الأهداف التربوية العامة وصناعة الإنسان المتكامل

تتجلى الأهداف العامة في مدرسة الإمام الصادق (ع) بوصفها الغايات الوجودية التي يسعى المنهج الإلهي لتحقيقها في الأرض، ويأتي على رأس هذه الأهداف تحقيق "العبودية الواعية" لله عز وجل. فالعلم في المنظور الصادقي ليس هدفاً في ذاته، بل هو الوسيلة الكبرى للوصول إلى معرفة الخالق، والتربية بهذا المعنى تهدف إلى تحرير الإنسان من أسر الجهل وعبودية الأهواء المادية ليصل إلى مرتبة اليقين والبصيرة، حيث يؤكد الإمام أن خشية الله هي رأس العلم وذروته، مما يخلق رابطاً عضوياً بين المعرفة المعرفية والسمو الروحي[٢] .

وعندما عاد الرجل إلى المسجد وجد همیانه مع رفيقه، فعاد يعتذر للإمام بشدة، فقال له الإمام: "شيء خرج من يدي لا يعود إلي". هذا الموقف هو أرقى تمثيل لصفة "الحلم" و"الرفق" في احتواء أخطاء الآخرين وتحويل الأزمة إلى درس أخلاقي لا ينسى. ينظر:الغرابي، التربية عند أئمة أهل البيت، ١٣٥.

١) مها نادر عبد محسن الغرابي، المصدر السابق: ١٤٩.

٢) ينظر: خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، المصدر السابق: ٦٢-٦٦. ينظر:محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج١ ،دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م: ٢١٥.

ويمتد هذا الهدف العام ليشمل بناء "الشخصية المتوازنة" التي تحقق مبدأ التكامل الإنساني، فالمدرسة الصادقية لا تهدف إلى تخريج عابد منعزل عن واقعه، ولا عالم مادي غارق في الجزيئات، بل تسعى لخلق توازن دقيق بين متطلبات الروح وحاجات الجسد وضوابط العقل، بحيث يعيش الإنسان في دنياه بعقل متفتح وروح متصلة بالسماء[١] . وينصهر ضمن هذه الأهداف الكبرى السعي لإقامة العدل والمساواة الاجتماعية، من خلال تربية أمة تعي حقوقها وواجباتها، وتغرس في أفرادها قيم المودة والتعاون ورفض الظلم بكل أشكاله، انطلاقاً من المبدأ النبوي الذي أكده الإمام في أن المؤمنين إخوة كالبنيان المرصد[٢].

ثانياً: الأهداف التربوية الخاصة وتنمية الملكات الفردية

تنبثق من تلك الغايات العامة مجموعة من الأهداف الإجرائية الدقيقة التي تستهدف صقل ملكات الفرد وتوجيهه، وتأتي الأهداف العقلية والمعرفية في طليعة هذه الغايات الخاصة، حيث سعى الإمام إلى تحرير العقل من الجمود والتقليد الأعمى وبناء "العقلية الناقدة". فلم يكن الهدف التربوي حشو الأذهان بالمعلومات، بل تدريب المتعلم على التمحيص والدراية، مقدماً الفهم والتحليل على مجرد النقل والرواية. كما هدفت هذه التربية العقلية إلى غرس منهج الاستنباط والاستدلال، ليكون المتعلم قادراً على توليد المعرفة من أصولها، وتجلى ذلك بوضوح في هدف "التخصص العلمي الدقيق" الذي تميزت به مدرسته، حيث وُجّه كل تلميذ وفق استعداده الفطري، فكانت الغاية تخريج خبراء في مجالات متنوعة كالكيمياء والعقيدة والفقه، مما يثبت أن النمو المعرفي المخطط له كان ركيزة أساسية [٣].

وفي موازاة ذلك، تبرز الأهداف الأخلاقية والسلوكية كغاية خاصة تهدف لتحويل الفضائل إلى "ملكات وسجايا" ثابتة في النفس البشرية، حيث يركز الإمام على تربية الوازع الداخلي والتقوى كرقيب ذاتي يغني عن الرقابة الخارجية. والهدف هنا هو تحقيق التطابق التام بين القول والعمل، إذ يعتبر الإمام أن العلم بلا عمل هو وبال على صاحبه، وأن القدوة العملية هي أبلغ وسيلة للدعوة للفضيلة. كما تهدف التربية السلوكية الخاصة إلى السمو بالعلاقات

---

١) مها نادر عبد محسن الغرابي، المصدر السابق: ١٤٩.

٢) خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، المصدر السابق: ٧٠.

٣) ينظر: مها نادر عبد محسن الغرابي ، المصدر السابق:١٦٠. ينظر: زينب فليح حسن، المصدر السابق،٣١.

الإنسانية وتنظيمها على أسس الإيثار والمداراة وقضاء حوائج الآخرين[١]. وبذلك تكتمل هذه الأهداف بالغايات الاجتماعية والرسالية التي تسعى لإعداد كوادر قيادية واعية، تُنـزع منها الأنانية الفردية وتُزرع فيها المسؤولية تجاه آلام الأمة وآمالها، وهو ما يمثل الهدف الرسالي الأسمى للتربية الصادقية[٢].

ثالثاً: خصائص الأهداف بين الشمولية والمرونة

تتميز الأهداف التربوية عند الإمام الصادق (ع) بصفة الشمولية المطلقة، فهي لا تغادر جانباً من شؤون الإنسان إلا ووضعت له غاية تربوية واضحة، كما أنها تتسم بالثبات لكونها مستمدة من الوحي الإلهي، ومع ذلك فهي تمتلك مرونة فائقة في الوسائل والأساليب لتناسب مستويات المتعلمين وقدراتهم الذهنية. وهذا التوازن بين ثبات الغاية ومرونة الوسيلة هو ما جعل أهداف المدرسة الصادقية صالحة لكل زمان ومكان، حيث تتمايز الأهداف وفق المراحل العمرية، فتراعي حاجة الطفل للعب والأدب، وحاجة الشاب للمصاحبة والتخصص العلمي، مما يحقق أقصى درجات الفاعلية في بناء الإنسان[٣].

الفصل الثالث

خصائص المربين وأساليب التربية في فكر الإمام الصادق (ع)

إن نجاح العملية التربوية في مدرسة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لم يرتكز فقط على سمو الأهداف وغاياتها الوجودية، بل استند بشكل جوهري ومحوري إلى وسائط بشرية (المربين) تمتاز بمواصفات إنسانية وأخلاقية وعلمية استثنائية، وإلى منظومة من الأساليب الإجرائية التي تتسم بالتنوع والعمق النفسي الشديد. فالمربي في هذا الفكر الشمولي ليس مجرد ناقل للمعلومة أو ملقن للمعارف، بل هو مهندس بارع للنفس البشرية، يسعى لتفكيك عقدها وإعادة صياغتها وفق المنهج الإلهي. والأسلوب التربوي في المدرسة الصادقية ليس مجرد أداة تقنية أو وسيلة تعليمية جامدة، بل هو مسار وجداني وعقلي متكامل يهدف لتهذيب

---

١) خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، المصدر السابق: ٦٨.

٢) المصدر نفسه:٦٩.

٣) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، المصدر السابق:٤٧. وينظر: خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، المصدر السابق: ٦٢.

السلوك، وعلاج الانحرافات النفسية الدفينة، وبناء الروابط الاجتماعية المتينة التي تجعل من المجتمع وحدة عضوية متكاملة[١].

أولاً: الخصائص الجوهرية للمربي في المنظور الصادقي

يضع الإمام الصادق (ع) معايير دقيقة وصارمة لمن يتصدى لعملية التربية وتشكيل عقول الناشئة، ويأتي في مقدمة هذه المعايير "التطابق السلوكي" التام أو ما يمكن تسميته بـ "وحدة العلم والعمل". ففي المنظور الصادقي، يفقد المربي سلطته الروحية والتربوية على المتعلم إذا ما خالفت أفعاله أقواله؛ فالعالم الذي لا يعمل بعلمه "تزل موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا". إن هذا الالتزام السلوكي الصارم هو ما يمنح الكلمة صبغتها التأثيرية ويحولها من مجرد صوت عابر إلى طاقة مغيرة للواقع النفسي والاجتماعي. المربي هنا يجب أن يكون مرآة صادقة للقيم التي يدعو إليها، بحيث يرى المتعلم في ممارسات المربي اليومية تجسيداً حياً للصدق والأمانة والتواضع، مما يغني عن كثرة الخطاب النظري[٢].

كما يشدد الإمام الصادق (ع) في منهجه على ضرورة تحلي المربي بصفات "الرحمة والرفق واللين" في التعامل مع المتعلمين، معتبراً أن العلاقة التربوية يجب أن تقوم على جسور المحبة المتبادلة لا على الإكراه أو الاستعلاء المعرفي. المربي الناجح في هذه المدرسة هو الذي يمتلك "قلب الأب الرحيم" الذي يحنو على تلامذته، ويقدر تفاوت مداركهم، ويتواضع لهم مهما بلغ شأنه العلمي؛ فالتواضع للمتعلم يكسر حواجز الرهبة ويفتح مغاليق العقول الموصدة أمام المعلومة. ويضاف إلى ذلك ضرورة تمتع المربي بـ "الصبر الاستراتيجي وطول النفس"؛ فالعملية التربوية في الفكر الصادقي هي عملية تراكمية هادئة وبطيئة التغير، وعلى المربي أن يتحمل جهل المتعلم، وعثراته السلوكية، وتقلباته المزاجية بقلب واسع وأفق رحب، مستخدماً "الحلم" كأداة وقائية وعلاجية لاحتواء الأزمات وضمان استمرارية النمو التربوي للمتعلم دون تعريضه للانكسار النفسي أو الإحباط[٣].

علاوة على ذلك، يرى الإمام أن على المربي أن يكون "بصيراً بزمانه"، مدركاً للتحولات الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالمتعلم، لكي يتمكن من تقديم الخطاب التربوي

---

١) مها نادر عبد محسن الغرابي، المصدر السابق: ٢١٠.

٢) خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، المصدر السابق: ٧٤.

٣) مها نادر عبد محسن الغرابي، المصدر السابق: ٢١١. ينظر: زينب فليح حسن، المصدر السابق: ٣٥.

المناسب للعصر. فالمربي ليس كائناً معزولاً، بل هو فاعل اجتماعي يمتلك القدرة على تشخيص الأدواء الأخلاقية واقتراح الحلول المناسبة لها، وهذا يتطلب ثقافة واسعة وإدراكاً عميقاً للنفس البشرية ومحركاتها، وهو ما يجعل من المربي الصادقي قائداً رسالياً قبل أن يكون معلماً مدرسياً [١][٦].

ثانياً: الأساليب التربوية الصادقية (توسع تحليلي وشرح سردي معمق)

تتنوع الأساليب في مدرسة الإمام الصادق (ع) لتشمل كافة جوانب الشخصية الإنسانية (العقلية، العاطفية، والنزوعية)، ويمكن بسطها سردياً وتحليلياً فيما يلي:

١. التربية بالقدوة والنموذج العملي:

يعد هذا الأسلوب هو "العمود الفقري" والأساس المتين الذي قامت عليه مدرسة أهل البيت (ع)؛ فالإمام لم يكن يكتفي بالتوجيه اللفظي، بل كان يربي بجوهر فعله قبل منطق لسانه. القدوة الحية تمثل في الفكر التربوي الصادقي "البرهان العملي" القاطع على إمكانية تطبيق القيم المثالية في أرض الواقع، مما يحفز المتعلم على المحاكاة العفوية والاقتداء الواعي. فعندما يرى التلامذة إمامهم يمارس العمل اليدوي في بستانه بعرق جبينه، أو يشاهدونه يقسم ماله مع الفقراء في أشد الظروف قسوة، فإنهم يتشربون قيم العزة والتواضع والسخاء كحقائق معاشة لا كأفكار مجردة. هذا الأسلوب يختصر المسافات التربوية ويزيل التناقض بين التنظير والتطبيق، مما يخلق جيلاً يتسم بالاستقامة السلوكية الفطرية[٢].

٢. التربية بالحوار، المناظرة، والخطابة الرسالية:

امتاز أسلوب الإمام الصادق (ع) بالانفتاح الفكري المذهل؛ فقد كان يربي تلامذته على "أدب الاختلاف" وفن الحوار المبني على الحجة القاطعة والبرهان العقلي الرصين، بعيداً عن القمع الفكري أو الإسكات القسري. كان يجلس مع الملاحدة والمخالفين، فيستمع إليهم بكل هدوء، ثم يفكك طروحاتهم عقلياً، معلماً أصحابه أن الحقيقة لا تُخشى وأن العقل هو الحكم. أما في خطاباته العامة، فقد كان يمزج بين البلاغة اللفظية الفائقة والصدق الوجداني العميق، بهدف إيقاظ العقول الغافلة وتليين القلوب القاسية. الخطابة في منهجه لم تكن يوماً استعراضاً

---

١) مها نادر عبد محسن الغرابي، المصدر السابق: ٢٣٨.

٢) خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، المصدر السابق:٨٠.

لغوياً، بل كانت رسالة تربوية مكثفة تهدف لتصحيح المسارات العقدية المنحرفة وتقويم الاعوجاج السلوكي في المجتمع(١).

٣. التربية بالقصص، الأمثال، والعبرة التاريخية:

وظف الإمام الصادق (ع) "القصة" كوسيط تربوي بارع لنقل تجارب الأمم الغابرة وسير الأنبياء، مستهدفاً منها استخلاص "العبرة" التاريخية وتوضيح السنن الإلهية الثابتة في المجتمعات. القصة في فكره تقرب المعاني البعيدة وتجعل الموعظة أكثر قبولاً لدى النفس البشرية التي تميل بطبعها للسرد. كما أبدع الإمام في استخدام "الأمثال" لتقريب المعاني الذهنية المعقدة والمجردة، محولاً إياها إلى صور حسية ملموسة يسهل على العامي والمثقف فهمها وتذكرها. هذا الأسلوب ينمي "القوة التخيلية" لدى المتعلم ويساعده على ربط الأسباب بالنتائج، مما يولد لديه وعياً تاريخياً واجتماعياً يحميه من تكرار أخطاء السابقين(٢).

ثالثاً: الإخاء الرسالي والصحة النفسية وطرق العلاج السلوكي

توسع الإمام الصادق (ع) بشكل غير مسبوق في معالجة البعد الاجتماعي والنفسي للفرد، واضعاً أسساً لما يمكن تسميته بـ "الطب التربوي النفسي":

١. التربية على الإخاء كضرورة اجتماعية ونفسية:

جعل الإمام الصادق (ع) من "الإخاء في الإسلام" غاية تربوية عليا تستهدف تذويب الأنانية الفردية المنغلقة في بوتقة الجماعة الرسالية الواعية. فالتربية على الإخاء عنده ليست مجرد مشاعر ودية عابرة، بل هي "منظومة حقوقية" متكاملة؛ حيث يتعلم المتعلم كيف يكون مرآة صادقة لأخيه، يستر عيبه، ويواسيه بماله وجهده، ويصدق في نصحه. هذا النمط من التربية يهدف لبناء مجتمع متماسك عضوياً، يشعر فيه الفرد بالأمن والانتماء، مما يقلل من حدة الصراعات المادية ويخلق بيئة اجتماعية صحية تساعد على الإبداع والنمو الروحي(٣).

٢. سيكولوجية الأمراض النفسية ومنهجية العلاج الصادقية:

---

١) محمد باقر المجلسي، المصدر السابق:٢٢٣. ينظر: مها نادر عبد محسن الغرابي، المصدر السابق:٢٤١.

٢) خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا: ٧٨.

٣) خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، المصدر السابق:٧٨. ينظر: محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، المصدر السابق: ١٦٨.

قدم الإمام الصادق (ع) تشخيصاً دقيقاً وعميقاً لما يسمى اليوم بالاضطرابات السلوكية والنفسية (مثل الحسد، الغرور، القلق الوجودي، واليأس)، معتبراً أن هذه الأمراض ليست سوى أعراض لـ "انحراف في الرؤية الكونية" أو ضعف في الارتباط بالمصدر الإلهي. وتتلخص عبقرية العلاج في مدرسة الإمام في أسلوب "العلاج بالضد" أو "الرياضة الروحية القسرية"؛ فالحسود يُعالج من خلال إلزامه بالإحسان العملي للمحسود والثناء عليه، والمتكبر يُدرب على ممارسة التواضع في مواطن الخدمة العامة لكسر حدة الأنا(١).

كما اعتبر الإمام أن "التفكر الواعي" و"الدعاء" ليسا مجرد شعائر تعبدية، بل هما أدوات أساسية لتحقيق "الاتزان النفسي" والتفريغ الوجداني ؛ فالدعاء يمنح الإنسان شعوراً بالقدرة على تجاوز الأزمات من خلال الاستناد إلى قوة مطلقة، والتفكر يحمي العقل من الانغلاق في لحظات اليأس. إن هذه المنهجية العلاجية تهدف في المحصلة إلى إعادة بناء "الشخصية المطمئنة" التي تمتلك مناعة نفسية ضد تقلبات الدهر، وتعيش حالة من السلام الداخلي الذي ينعكس إيجاباً على سلوكها الخارجي مع الآخرين (٢).

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة حول الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق (ع)، نستخلص أننا أمام منظومة تربوية شمولية تتجاوز حدود الزمان والمكان. لقد أثبت المنهج الصادقي أن التربية تبدأ من "الجذور" عبر اختيار البيئة الأسرية الصالحة والرفقة الطيبة. كما تأكد لنا أن المربي في هذه المدرسة هو "مهندس للنفس البشرية" لا مجرد ناقل للمعلومات. إن شرط "تطابق العلم والعمل" يظل هو الركيزة الأساسية لمنح المربي سلطته الروحية وتأثيره في المتعلم. وقد تجلت عبقرية الإمام في استخدام أساليب متنوعة كالحوار العلمي، والقدوة العملية، والقصة الهادفة. كما برز اهتمامه بالصحة النفسية من خلال منهجية "العلاج بالضد" لمواجهة أمراض القلوب كالحسد والكبر. إن هدف "العبودية الواعية" هو الغاية الكبرى التي تمنح العلم قيمته الحقيقية في هذا المنهج. وقد نجحت هذه المدرسة في تخريج عباقرة لأنها اعتمدت "التعزيز النفسي" واحترمت الفروق الفردية والتخصصات العلمية. وتتميز أهداف هذا الفكر بالمرونة في الوسائل مع ثبات الغايات المستمدة من الوحي. إن تربية الإمام على "الإخاء

---

١) مها نادر عبد محسن الغرابي، المصدر السابق: ٢٤٤.

٢) زينب فليح حسن، المصدر السابق:٤٢. ينظر: مها نادر عبد محسن الغرابي، المصدر السابق:٢٤٥.

الرسالي" تضع حلولاً جذرية للصراعات الاجتماعية وتبني مجتمعاً متماسكاً كالبنيان المرصوص. كما أن "الحلم التربوي" والرفق هما الأداتان الأنجح في احتواء الأزمات السلوكية وتحويل الخصوم إلى تلاميذ مخلصين. إن هذه الدراسة تدعو بوضوح إلى ضرورة استلهام هذا المنهج العقلاني الإيماني في مؤسساتنا التربوية المعاصرة. فالفكر الصادقي ليس مجرد تراث، بل هو ضرورة واقعية لمعالجة الانحرافات الأخلاقية والنفسية. وبناءً عليه، فإن التمسك بهذا النهج يضمن بناء "الإنسان المتكامل" القادر على عمارة الأرض بالعدل والعلم. وأخيراً، نجد أن التفكر والدعاء في هذا الفكر يمثلان أدوات لتحقيق الاتزان النفسي والسلام الداخلي.

المصادر

١. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤ ، دار الأضواء،بيروت .
٢. خضر عبد الرضا جاسم الخفاجي وجاسم رضا، "الفكر التربوي في طروحات الإمام جعفر الصادق (ع)"، مجلة التراث العلمي العربي، العدد ١ ،٢٠١٤.
٣. زينب فليح حسن، الإمام جعفر الصادق (ع) ودوره التربوي،بحث تخرج، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، بإشراف علي عطية الكعبي،٢٠١٧.
٤. الشيخ الصدوق، الخصال، ج١.
٥. الغرابي، التربية عند أئمة أهل البيت.
٦. المجلسي، بحار الأنوار، ج١.
٧. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج١ ،دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م: ٢١٥.
٨. محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)، من لا يحضره الفقيه، ج٣ ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
٩. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٦ ،دار الكتب الإسلامية،طهران، ١٣٦٥هـ.
١٠. مها نادر عبد محسن الغرابي، التربية عند أئمة أهل البيت عليهم السلام: دراسة فلسفية تحليلية، ط١ (كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٧.